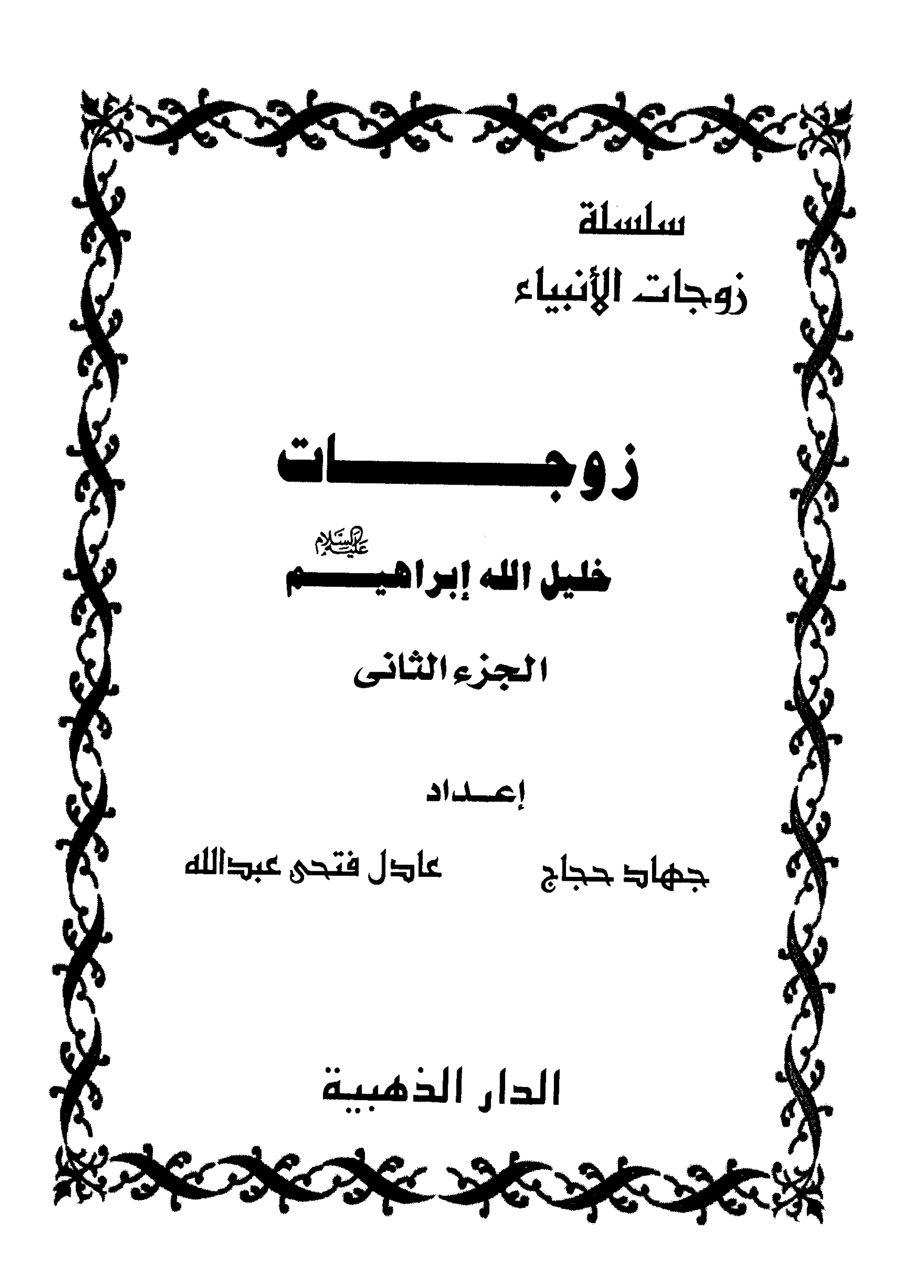


سلسلة
زوجات الأنبياء

زوجـــات

خليل الله إبراهيــم عليه السلام

الجزء الثانى

إعـداد

جهاد حجاج   عادل فتحى عبدالله

الدار الذهبية



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت : ٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١



السَّيدةُ هاجـر رضي الله عنها

ذكرناَ منْ قبل أنَّ السيدةَ سارة زوجةَ سيدنا إبراهيمَ عليهما السلام أهدتْ إليه جاريَتها (هَاجر) لعلَّ الله أنْ يرزقَهُ منها بالولد، حيثُ أنَّ سَارة كَانتْ عَقيماً لاَ تَلد. وفعلاً بَعدما تزَّوجَ إبراهيمُ هاجرَ رزقهَ الله منها بالولَد، وكانَ إسماعيلُ عليه السلام، ثم دبَّتْ الغيرةُ فِي قلب سَارةَ مِن هَاجرَ وابنها، وحِينها كَان اللهَ قَد أمرَ إبراهيمَ عليه السلام ببنَاءِ البيتِ الحرام فى مكة.

فهَاجرَ إبراهيمُ عليه السلام إلى مكةَ وأَخذَ معه هاجرَ زَوجته وابنهَا إسماعيل وهو إذ ذاكَ طفلٌ رضيعٌ، «حتىَ وضعهمَا فى مَكانٍ يسَّمى (جبَال فَارَان) وهى الجبالُ

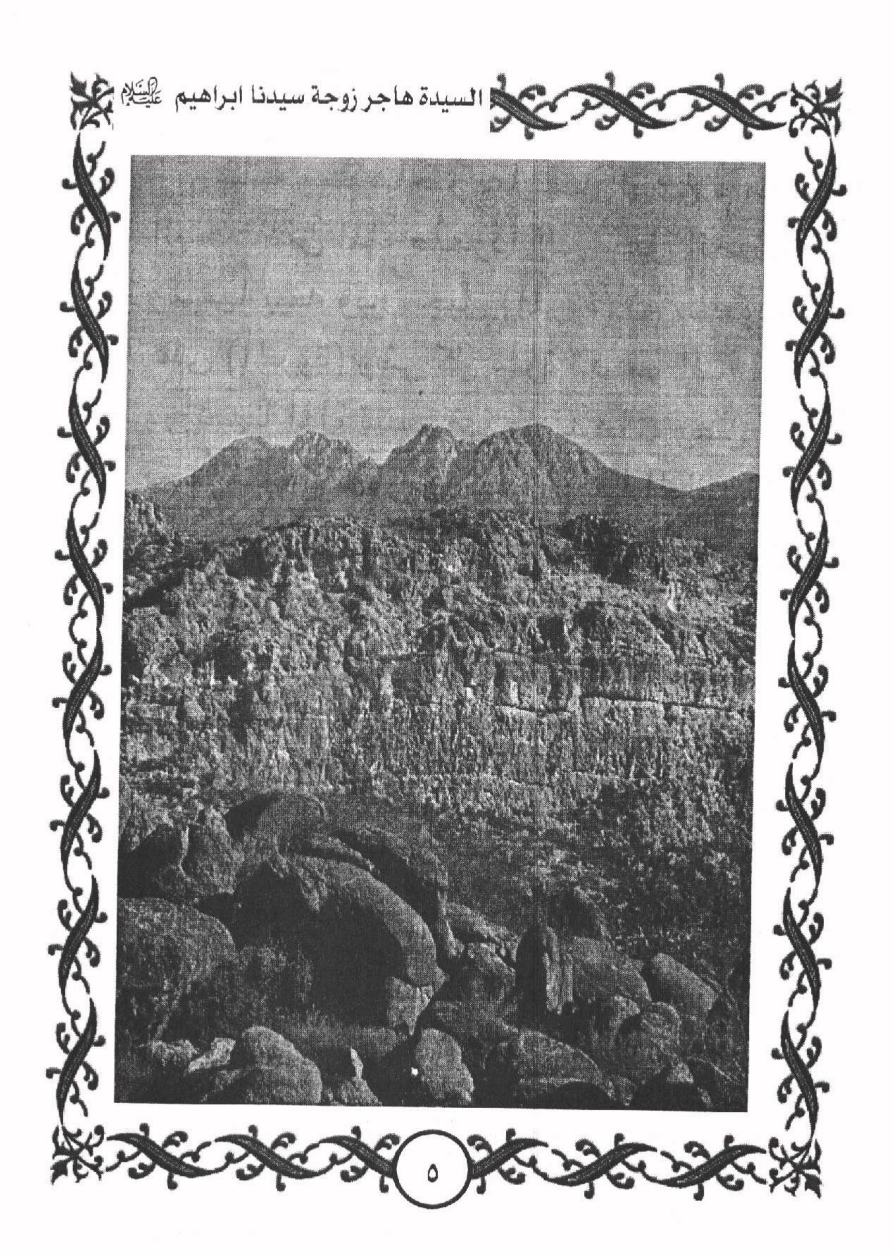
التى حَوْل مكَّة.. وتَركهما ليسَ معهُما إلاَّ القليلُ منَ الزادِ والماءِ وذلكَ ثقةً باللّه وتوكلاً عليه»(١)

فقالتْ هاجرُ: «يا إبراهيمُ إلى مَنْ تكلُنَا قالَ: إلى اللّه، قالتْ: فانطلق فإن اللّه لَن يُضيعنا، قالَ: فَعطِش إسماعيلُ عطشاً شديداً، فصعدَتْ هاجرُ إلى (الصَفا) - بحثاً عن الماء - فلم تَر شيئَاً، ثم أتتْ (المروةَ) فنظرتْ، فلم ترَ شيئاً، ثمَّ رجعتْ إلى الصفا، فنظرتْ فلمَ تَر شيئاً، حتى فعلت ذلك سبعَ مراتٍ»(٢)

---

(١) «البداية والنهاية (١/ ١٩١)» للحافظ إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى أبى الفداء المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ط مكتبة المعارف .. بيروت.

(٢) «تاريخ الأمم والملوك (١/١٥٢)» للطبرى - مصدر سابق.



فَتعبتَ هاجرُ عليها السلام منْ البَحث عنَ الماء صُعوداً إلى جبل الصفَا وسعياً بينه وبينَ جبل (المَروة) ثمَّ صعوداً على (المروةِ) وفى كل مرة تَدعو الله أنْ يَرزقها الماءَ لِتسقىَ وَليدَهَا.. وهى لا تجدُ الماءَ لكنَّهَا منْ شَدَّة حُبها للوليد لاَ تَجدُ شيئاً تَفعلهُ وَلا مَكاناً تبحثُ فيه عَنْ الماء غَير هَذين الجَبلين، فلما أحسَّت أَنَّ إسماعيلَ قدْ يُوشك أنْ يَموتَ نزلت لتطمئنَّ عَليه، فَوجدته «يَفحصُ برجله منْ العَطَش فَنادَاها جبريلُ فقالَ: مَنْ أَنَت؟ قَالتَ: أَنا هَاجرُ أُمُ وَلد إبراهيم، قال إلى مَنْ وَكلكَما؟ قالتْ: وَكَلنَا إلى الله. قال وكَلكما إلى كافٍ..

فَفَحصِ الغلَامُ بإصبعيه فَنبَعتْ

(زَمزَمُ) فَجعلتَ تَحبسُ الماءَ فقالَ: دَعيه فإنها رُواءٌ»(١)

فَفَاضتَ بئرُ زَمْزَم بالماء، فسقت الطفلَ الرضيع حَتَّى ارتَوى وكَانَ إبراهيمُ عليه السلام حِين تَرك هَاجرَ وابنهَا قَدْ دَعا الله تعالىَ أنْ يرزُقها من الثَّمرات والأفئدة، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ من ذُرِّيَّتي بوَادٍ غَيْرِ ذي زَرْعٍ عند بَيْتك الْمُحَرَّمِ رَبَّنا ليُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئدَةً مِّنَ النَّاس تَهْوي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمرَات لَعَلَّهُم يَشْكُرُونَ﴾(٢)

فاستجابَ الله دعوةَ إبراهيمَ عليه السلام، فبعد أنْ فحص إسماعيلُ برجلهِ الأرضَ

(١) تاريخ الأمم والملوك.

(٢) سورة إبراهيم الآية (٣٧).

ففاضتْ (زَمْزَم)، مَرَّ جَماعةٌ مِنْ قَبيلةِ جُرهُم، وهُم قوم مِنَ العَماليق، وكانو يسكنون. قَريباً مِنْ مكَّةَ، وكانُوا حَينئذ فى طريقهم إلى الشام «فَرأَوا الطيرَ على الجبلِ فقالوا: إنَّ هَذا الطيرَ لعائفٌ على ماءٍ فَهَل عَلمتم بهذا الوادِى مَنْ ماء؟

قالواً: لا، فأشرَفوا فإذا هُمْ بالإنسانةِ (هَاجَرِ عليها السلام) فأتوها فَطلبواَ مِنها أنْ يَنزلوا معها (يَعنى يَسكنوا بجوارِها) فأذِنتْ لَهُمْ..»(١)

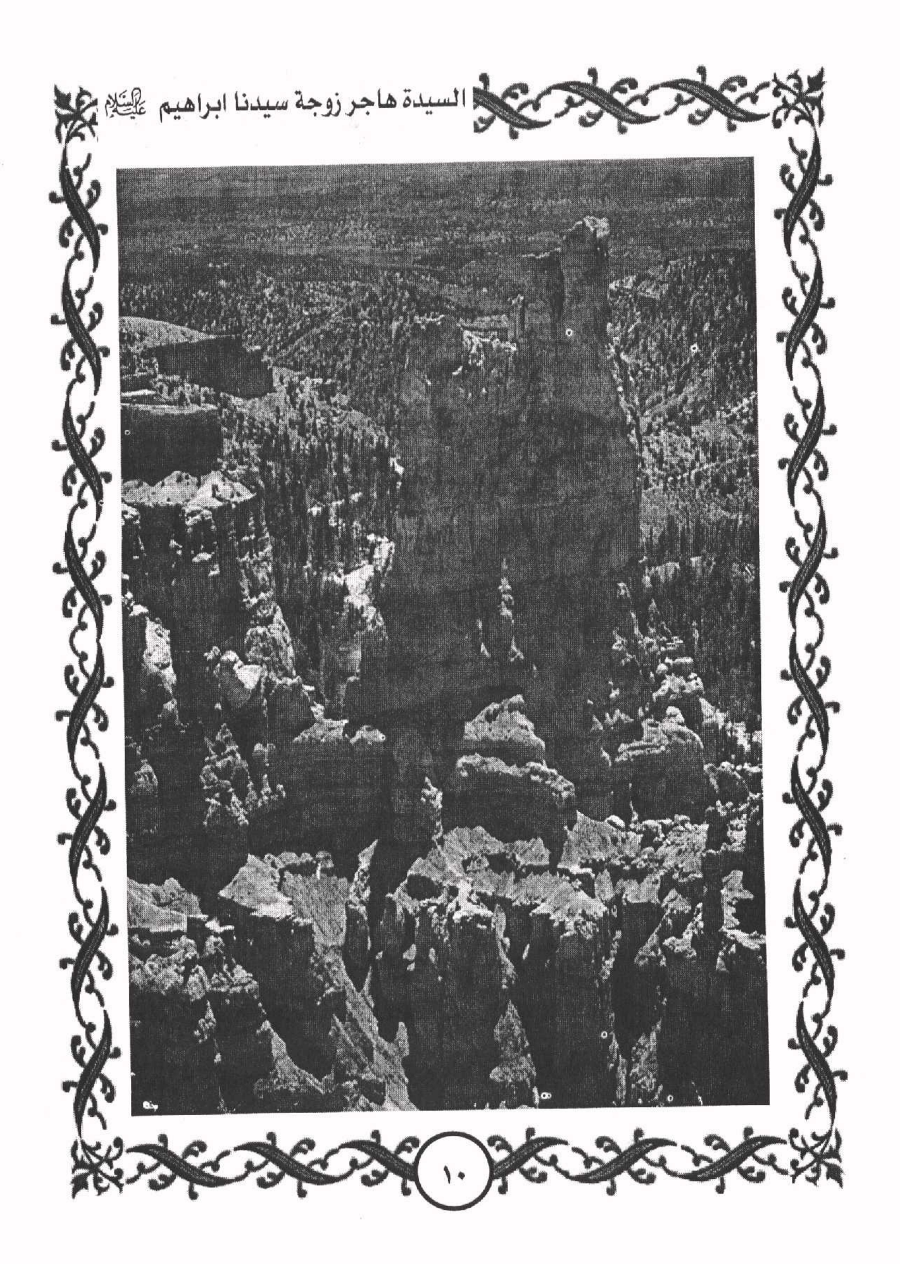
وهَكذا استجابَ اللهُ دعاءَ إبراهيمَ عليه السلام، فآنسَ وَحْدة هَاجر وابنهَا وأزالَ وَحشتهما بهؤلاء الجيران، ورزقهمْ مِنَ الثمراتِ والماَءِ الزلالِ، الذى تمثل فِى بئر

---

(١) السابق.

زَمْـزَم التى تَفـيضُ بِالماء ولازالتْ إلـى اليـوم، وهـى عينٌ لاَ تَنضَبْ، وهَكذا عَاشَتْ هَاجرُ وابنها عَيشاً رغيداً وسَطِ الماء والخضرة والجيرانِ العربِ فتعلَّم إسمَاعيلُ اللغَةَ العربيةَ، حتَّى أصبَحَ أفصحَ الناس كلاماً بالعربيةِ.

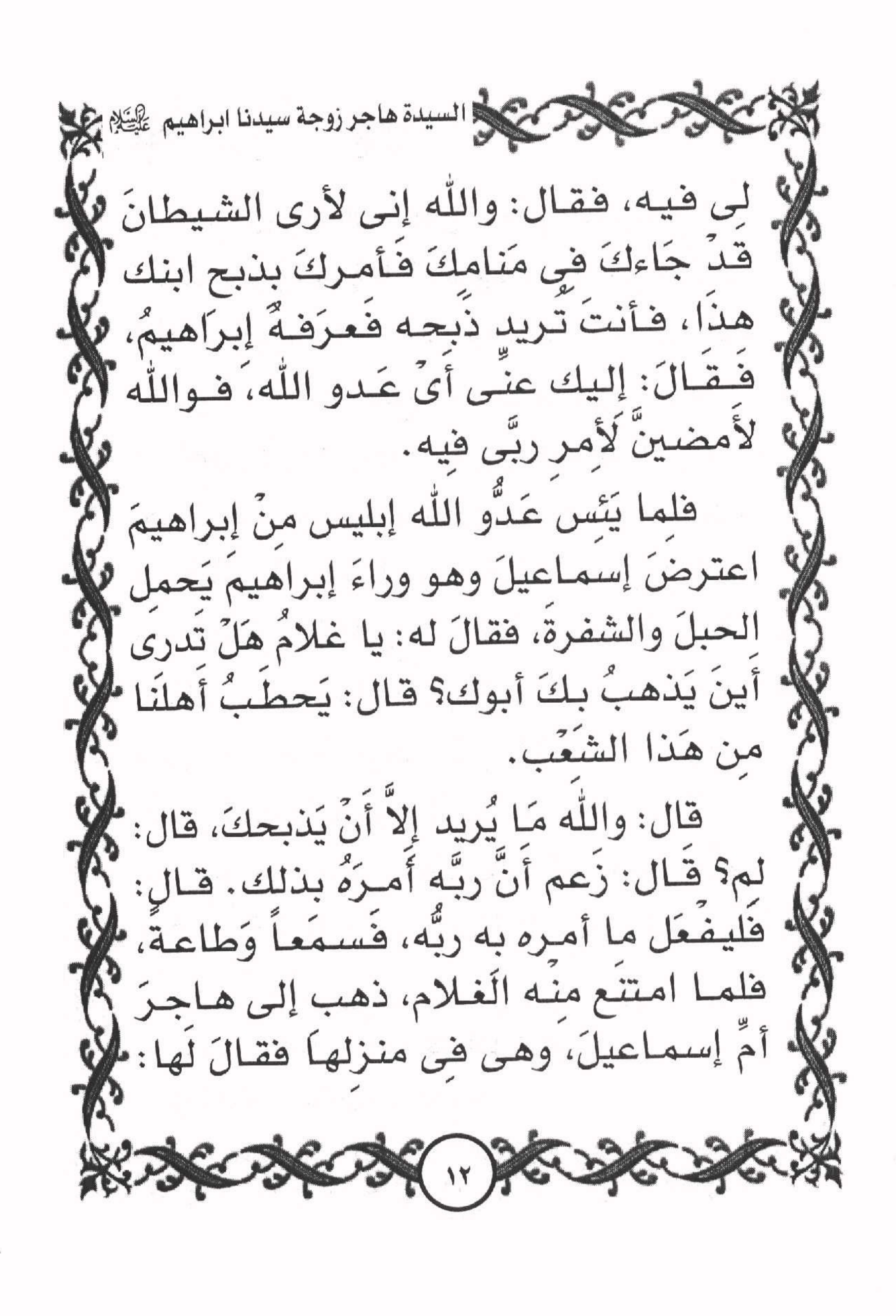
وكان إبرَاهيمُ يأتى يَزورُ هاجرَ وابنهَا إسماعيل بَيْن الحينِ والحين، يَركبُ البراقَ منْ الشام إلى مكةَ فَيطمئَنَ على هاجرَ وَابنها ويمكث معهم قَليلاً ثمَّ يَعودُ إلى الشام إلى فلسطينَ حَيثُ زوجته سارة، وحَيْثُ المكانُ الذى أمره الله أنْ يَدعو أهله إلى الإسلام، حتَّى جاءَ أمرُ الله تعالىَ لإبراهيمَ بذبح ابنه إسماعيلَ ابتلاءً واختباراً لصدق إبراهيمَ وإسماعيلَ وإيمانهما وتسليمهماً لأمر الله تعالى.



فرأى إبراهيمُ فى المنام أنهُ يَذبحُ ابنَه إسماعيلَ، ورؤيا الأنبياءِ حقٌ ووحىٌ منَ اللّه تعالى، وكان هذا بمثابة أمر من اللّه تعالى لإبراهيم بذبح ابنه إسماعيل*. فانطلقَ إبراهيمُ عليه السلام راكباً البراق متجهاً إلى مكة حيثُ هاجرُ وإسماعيلُ عليهما السلام، ثم قالَ لابنه «يا بنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب(1) ليحطب أهلك منه، قبل أنْ يذكرَ له شيئاً مما أُمر به - فلمَّا وجَّه إلى الشعب اعترضَه عَدو اللّه (إبليسُ) ليَصدَّه عَنّ أمر اللّه - فى صورة رجل - فقال: أين تُريدَ أَيَّها الشيخُ؟ قال: أريد هَذا الشِعب لحاجةٍ

❖ وقيل أن الذبيح هو إسحاق لكن المشهور عندنا أنه أسماعيل وهذا الذى عليه أكثر أهل العلم.

(1) الشعب: المكان بين الجبلين.



لِى فيه، فقال: والله إنى لأرى الشيطانَ قدْ جاءكَ فِى مَنامكَ فَأمركَ بذبح ابنك هذَا، فأنتَ تُريد ذَبحه فَعرَفهُ إبرَاهيمُ، فَقَالَ: إليك عنِّى أىْ عَدو الله، فوالله لأمضينَّ لأمرِ ربَّى فيه.

فلما يَئِس عَدُّو الله إبليس مِنْ إبراهيمَ اعترضَ إسماعيلَ وهو وراءَ إبراهيم يَحملِ الحبلَ والشفرةَ، فقالَ له: يا غلامُ هَلْ تَدرى أينَ يَذهبُ بكَ أبوك؟ قال: يَحطَبُ أهلَنَا مِن هَذا الشَعْب.

قال: والله مَا يُريد إلاَّ أَنْ يَذبحكَ، قال: لم؟ قَال: زَعم أَنَّ ربَّه أَمرَهُ بذلك. قالِ: فَليفْعَل ما أمره به ربُّه، فَسمَعاً وَطاعةً، فلما امتنَع مِنه الغلام، ذهب إلى هاجرَ أمِّ إسماعيلَ، وهى فِى منزلِها فقالَ لَها:

يا أمَّ إسماعيل هَلْ تدرينَ أيْنَ ذهبَ إبراهيمُ بإسماعيلَ؟ قالتْ: ذهبَ به يَحطبُنَا مِنْ هَذا الشِّعب، قَالِ: ما ذَهبَ به إلاَّ ليذبحه، قالتْ: كلاَّ هوَ أرحمُ به وأشدُّ حُباً له مِن ذَلك، قال: إنَّه يَزعُم أنَّ اللّه أمرَهُ بذلك، قالتْ: إنْ كان ربُّه أمرَهُ بذلكَ فتَسليماً لأمر اللّه، فَرَجعَ عدو اللّه بغيظه لَمْ يُصبْ مِنْ آل إبراهيمَ شَيئاً ممَّ أرَادَ، وقد امتَنع منه إبرَاهيمُ، وآل إبراهيمَ بعون اللّه، وأجمعوا لأمرِ اللّه بالسمع والطَاعة.

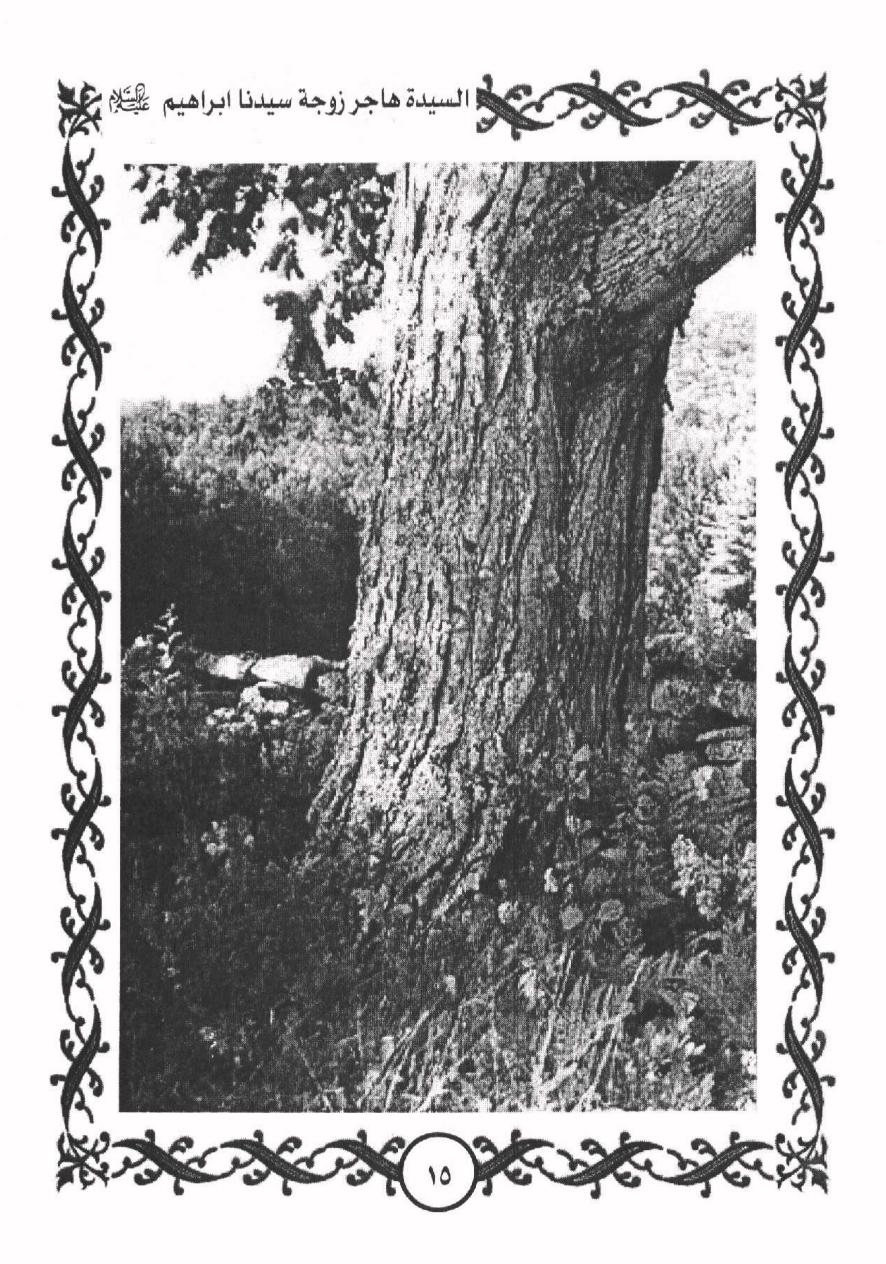
فلمَّا خلاَ إبرَاهيمُ بابنِه فى الشِّعب، وهُو فيما يزعُمونَ شِعب (ثبير)* قال إبراهيمَ لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

* (تاريخ الطبرى ١/ ١٦٥).

ستجدُني إن شاءَ اللهُ منَ الصَّابرينَ﴾(١)

إنَّ هذا ليُبيِّن ويُبرهنُ على صدق تلك العائلة المباركة، فإبراهيمُ عليه السلام لمْ يُرد أنْ يُخبرَ إسماعيل بالخبر أمام أمِّه، فقالَ له: تعال نحتطب (نجمعُ الحطبَ) لكنَّ (إبليسَ) اللعينَ أرادَ أنْ يُفسد الأمرَ، فأفشى الخبرَ لإسماعيلَ وأمِّه بعدمَا فَشل فِي ثنى إبراهيمَ عن أمر الله، لكنَّ إسماعيلَ، ذلكَ الابنَ الصادقَ المؤمنَ، كانَ مُؤمناً حقاً، وعندما أخبرهُ الشيطانُ بأنَّ أباهُ يُريد أنْ يَذبحه وعَرف أنَّ ذلكَ أمر الله، قال: سمعاً وطاعةً لله ربِّ العالمين، وكذلك أمُّه هاجَرُ كَانتْ نِعم الأمُ المؤمنة، المُستجيبةُ لأمر ربِّها، فاللَّهم صلِّ على إبراهيم وَعَلى آلِ إبراهيمَ.

(١) سورة الصافات الآية (١٠٢)



قالَ بعضُ أَهل العلم: أنَّ إسماعيلَ بعدَ أنّ أخبَره أبوهَ إبراهيَمُ بخبر الرؤُيا، واستجاب لأمر الله كما وَردَ فى الآية الكريمة. قالَ إسماعيلُ لأبيه: يا أبت إذا أَردتَ ذَبحى فاشدد رِبَاطى،.. فإن الموتَ شديدُ وإنى أخاف أَنْ أضطربَ عِندهُ إذا وجدت مسَّهُ، واشحذَ شَفرتكَ حَتَّى تُجهَز علىَّ فتَرُيحنى، وإذا أنتَ أضجعتَني لتذَبَحَنى فَكُبَّنى لوجهى عَلى جَبيني ولاَ تُضجعنى لشِّقى، فإنى أخشَى إنْ أنتَ نظَرت فى وِجَهى أنْ تُدركَكَ رقَّةُ تَحول بينَك وبَين أمر الله.. قالَ إبراهيمُ: نِعمَ العونُ أنتَ يَا بُنىَّ عَلى أمرِ الله.. ففعَل إبراهيمُ مَا وصَّاه به ابنُه، وأَخذَ الشَفرةَ ليذَبَحه، وَلمْ يَنظُر إلَيه، وَوضعَ الشفرةَ عَلى رقَبة إسماعَيلَ لِيذبَحهُ فقَلَبَها اللهُ لِقفَاهَا،

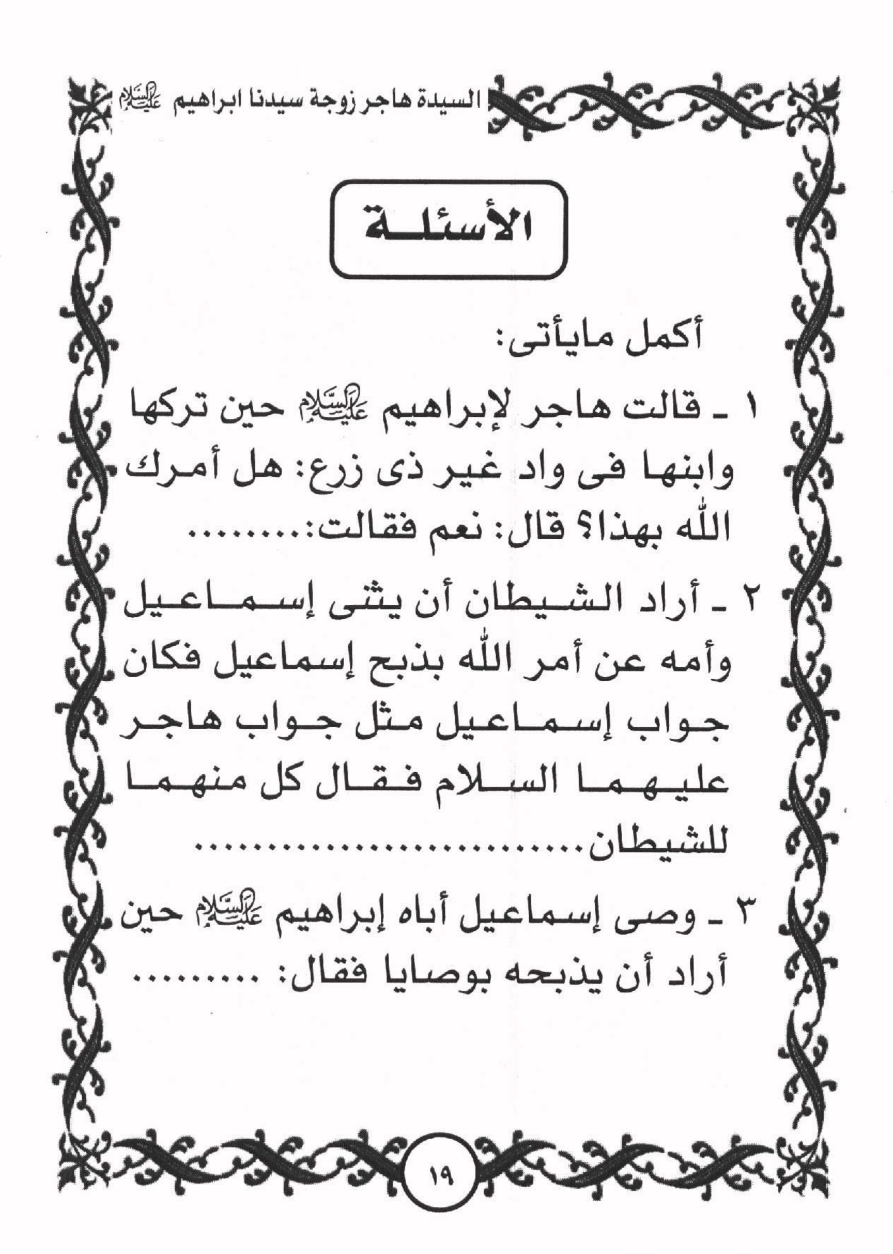
فَلمْ تَذَبحْ، ثم نَادَى مُناد ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(١) فَأَنزلَ الله لَه كَبشاً فداءً لإسماعيل. لقَدْ كَانَ الهدفُ منْ قصة الذَّبح هَذه، هو اختبارُ هَذه العائلة المباركة وليس ذبحَ إسماعيلَ بالفعل، ولما نجحت هذه العائلة فى الاختبار نجىَّ الله إسماعيلَ منْ الذبح، وفَداهُ بذَبح عَظيم. وأصبحتْ هَذه سُنَّة عَلى المُسلمين فى كُلِّ عيد أُضحية، تُقدَّم ذَبيحةٌ للفقراء والمساكين اقتداءً بسيدِّنا إبراهيمَ عليه السلام، لِنتذكر هَذه التضحيةِ

(١) سورة الصافات الآيات (١٠٤ ـ ١٠٧).

العظيمة منه هُو وابنه وزَوجته السيدة هَاجَر عَلَيهمُ السلام جميعاً. ولَمْ يُذكَر في كُتب التاريخ بدِّقة مَتى تُوفيت السيدة هَاجَر عليها السلام، إلاَّ أنَّه ذُكر أن إبراهيمَ عليه السلام في إحدى زيارَاته لَهُمْ، وجَدَ أنَّها قَدْ تُوفيت، وأنَّ إسَماعيلَ قَدْ تَزوَّج مِنْ جُرْهُم، وَسأَلها عنْ إبنه وعَنْ حالَها مَعه، ولِذلك قِصةٌ مَعروفةٌ في الصَّحيحين.

وكانتْ وفاةُ هاجَر قَبل وفاة سارة، وبَعد وفاة سارة قِيل أنَّ إبراهيم عليه السلام تزوَّجَ (قَطورا بنت يَقطَن) امرأة من الكَنعانيين فَولدَتْ له سِتَّة نَفَر وَهُم (يقسان - زمران - مديان - يسبق - سوح - بسر)*

❖ (تاريخ الطبرى (١ / ١٨٥)).



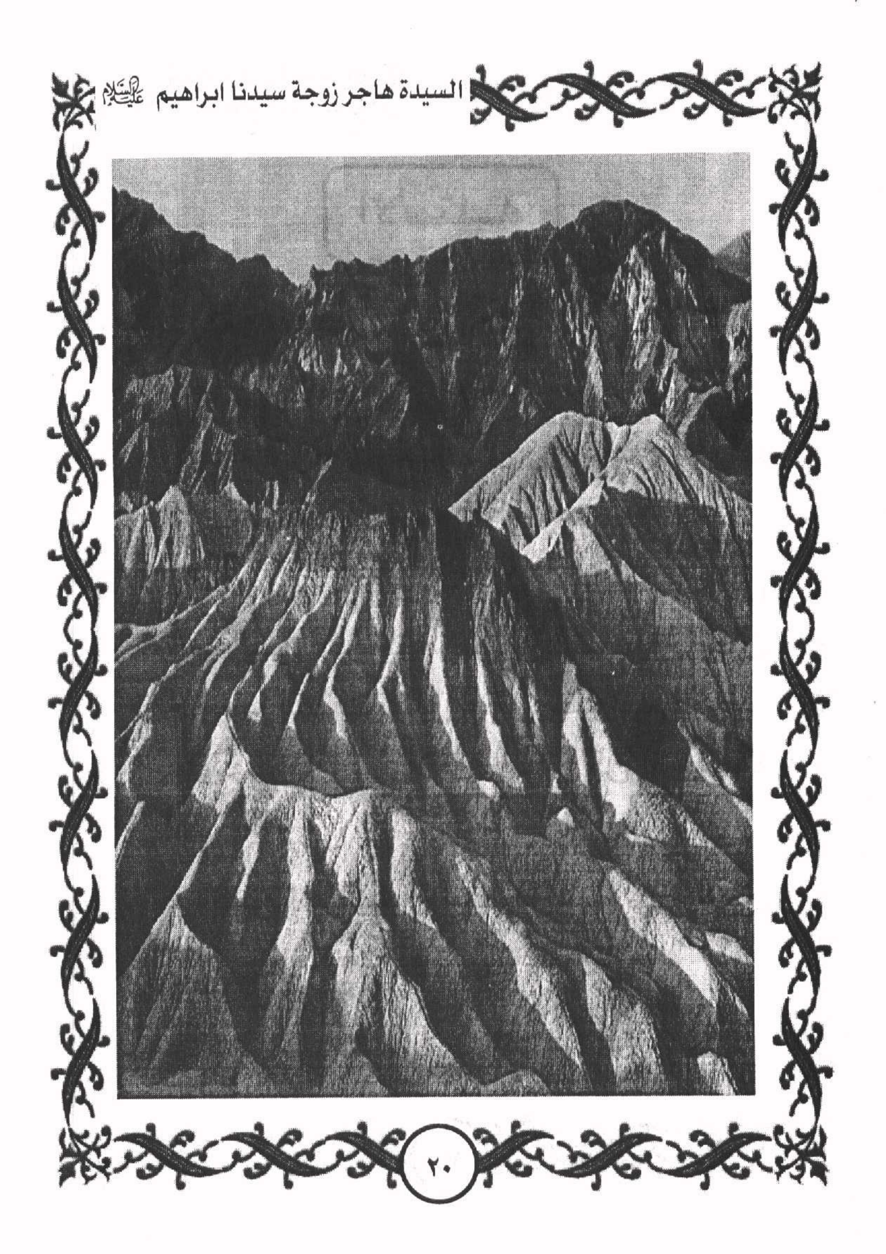
الأسئلـة

أكمل مايأتى:

١ ـ قالت هاجر لإبراهيم عليه السلام حين تركها وابنها فى واد غير ذى زرع: هل أمرك الله بهذا؟ قال: نعم فقالت:.........

٢ ـ أراد الشيطان أن يثنى إسماعيل وأمه عن أمر الله بذبح إسماعيل فكان جواب إسماعيل مثل جواب هاجر عليهما السلام فقال كل منهما للشيطان.........................

٣ ـ وصى إسماعيل أباه إبراهيم عليه السلام حين أراد أن يذبحه بوصايا فقال: ....



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٨٧٢ / ٢٠٠٣

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
ت : ٥٧٨٧٩١٨ - ٥٧٩٩٩٤٢
الرقم البريدي : ١١٢٣١